

● محمود سيف الدين الإيراني أذنيك أبواق السيارات المحملة بغرارات الأرز والسكر والدقيق الأبيض الفاخر، والطربوش الأحمر الأنيق، وتتسلل بينها الحين بعد الحين قبعة على رأس أجنبي لم تفلح - رغم الاستحياء والقدم الخفيفة المنسركة - في التستر والاستخفاء، راق لك ان تتمهل هنا وهناك لتشبع عينيك من خليط ما تعرضه الدكاكين من فإنك على الرغم من هذا كله، وعلى الرغم من أنك في أكثر فتندفع مرغماً في تيار هذه الحركة الناشطة إلى كالرجل العظيم تكون له الصدارة في مجالس القوم، السوقة وسفلة الناس، فانثله الحظ والانحراف الاجتماعي إلى الأوج، وأن العمارة السامقة المهولة لم تكن قبل ذلك إلا أطلالا وخرائب. الأنيق الممتاز، الاثنتين، والساعة الذهبية الكبيرة بزرداها الذهبي العريض الملتف حول معصمه، ويبهز العقول. يبيع في دكانه الصغير - 4 وكان سيد حمدان في ذلك الحين قانعا برقة حاله، أبي فرهود، نكدة، لها دائماً في البيت مع أولادها القذرين صياح وزعيق لا ينقطعان أبداً، مزيتها أنها كانت امرأة مدبرة، وأنها تعرف - بفطرة ملهمة حاذقة - كيف تجمع كما كانت تقول دائماً وهي تنتمر له، فهوى قلب سيد حمدان إلى حذائه، فقد وأصبح ذات يوم كيف حدث ذلك؟ إنه لا يدري. - هذه ليست حرباً يا امرأة. لئن شكرتم ولكنه لا يغضب، ويفيء بها إلى الرضا، الموحد أبداً، ويمتد، مكانها مخازن ومستودعات رحيبة من الحجر الأبيض الفاخر المدقوق، أرض هذا الحي ذات الأخاديد والفجوات قد استوتت على امتداد البصر، حي وازدحم بسيارات النقل والجمال والحمير والخلق من كل طراز. والسكر والحبوب. مستمرة. الأشرفية إلى ما لا نهاية له، بوجاهته التي تملأ العين. وامتلا لحمياً وشحمياً، حمدان برفاهة عيشه، العامرة من المدينة، ومن الذين لهم الكلمة كما كان شأنها فيها ومن الشام جاءت البضاعة ذات يوم، حرقه أحلامه. صورة زيتية صغيرة، وأين يضعها. ؟ أم يحسن أن يتخلص منها؟ لقد قبلها على مضض. ما جدواها، صنع هذه التفاهات؟ أي معنى يمكن أن يكون وراء الألوان؟ إنها مجرد ألوان تراكم بعضها فوق بعض، ثم بدا له أن يعلقها على الجدار فوق وورد على الخدين وزرقة في وراءها سر مغلق، إنه يشعر في قرارة أي شيء - هذه الصورة أيها الصديق الكريم ليست في مكانها، إنها فيما أرى ليست أكثر من شبه صورة انظر الآن. ألا تراها ألا ترى في جفنيهما انكساراً. إنها استسلام حزين، فهل ثم شرد وقلبه. والعيون الزرق والابتسامة وتأملها هنيئة،